Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجاء الرئيس محمد حسنى مبارك إلى السلطة ، وبدأ مرحلة المصالحة الوطنية مبادراً بالإفراج عن مجموعة السياسيين الذين اعتقلوا فى سبتمبر ١٩٨١ ضمن قائمة طويلة من المعسكرات المعارضة للسادات ، تم رأى إقامة علاقة جديدة مع الصحافة مجتمعاً بالذين أعتبرهم الرئيس الراحل خصوماً له ، فأبعدهم عن الكتابة ، أو فرض عليهم قيوداً ارتضوها أملاً فى الخلاص .

وكنت قبل ذلك – وعقب عودتى إلى مصر ، وبعد أن رأيت المصريين يتعلقون مرة أخرى بالأمل – قد قررت بينى وبين نفسى العودة إلى كتابة عمودى اليومى « دخان فى الهواء » « فى جريدة الأخبار » – والتى لم أكن قد انفصلت عنها – وذلك رغبة منى فى ألا تكون عودتى بقرار من الرئيس مبارك وتحاشياً للتسليم بمبدأ أن من يسمح له أيضا الحق فى أن يمنع .

وكانت عودتى إلى الكتابة مفاجأة للجميع ، وأشهد أنى لم أكن أتوقع أن تكون لهذه العودة – عودة كاتب إلى لقاء قرائه كل صباح – هذا الصدى الذى غمرنى بفرحة وسعادة أكدتا لى أن أصالة شعب مصر أقوى من أن تهتز .

ولقد تضمن مقالى الأول مبررات العودة إلى الكتابة ، ومن أهمها إحساس الجماهير ، وأنا منهم أن « الأمل » فى إصلاح أخطاء الماضى قد غمر الناس ، وأن واجبنا يفرض علينا الوقوف إلى جانب هذا الأمل ، وإعطاءه جرعات من التشجيع ، ما دمنا فى النهاية أصحاب الحق فيما نقول أو لا نقول .. فيما نوافق عليه أو نرفضه .

ولكن هل فكرت قبل كتابة هذا المقال فى المقولة التى تتردد على الألسنة دائما من أن التاريخ يكرر نفسه ؟ وهل وضعت فى إعتبارى قبل العودة إلى الكتابة أنى اتخذت الموقف نفسه فى عهد السادات – بعد حرمان فرض على فى فترة حكم عبد الناصر – وكان عنوان أولى مقالاتى إذ ذاك « ما أحلى الرجوع إليها .. » وهل كنت فى المرحلتين أسير حب المهنة ، فلا تكاد تشير إلىّ بعد طول هجران حتى أسارع إلى الإرتماء فى أحضانها ؟

ولا بد من الإعتراف بأنى فى الحالين كنت هذا الأسير .

فالصحافة مهنة تسرى فى دم الذى يعشقها ويراها وسيلته إلى الخدمة العامة ، حتى إذا حرم من الإستمتاع بالقرب منها ، فأنه يكون فى موضع العاشق المحروم من الإقتراب ممن أحب لا بسبب كونها هى التى صدته وهجرته ، وإنما لأنه فرض عليها الإقامة خلف أسوار بناها من ملك السيطرة عليها وحدد لها نوعية الذى يقترب منها أو يبعد عنها .

أليست هذه هى سيطرة القرون الوسطى ؟ ومع هذا فهل كانت هذه السيطرة القديمة حائلة دون الإستبسال لتحطيم الأسوار ، وتحقيق اللقاء بعد اللقاء ؟ ثم ماذا يضير إذا سدت المنافذ مرة أخرى ، وعاد الحرمان الى حاله من جديد ؟ وما الضرر من المحاولة المرة بعد الأخرى .. طالما ظل العاشق متمسكا بالإصرار على تحطيم الأسوار بغير تقديم لأية تنازلات تسقطه من عينى من وهبها حياته ؟ .